قُلوبُ المؤمنين

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(صعود الأقوال ورفع الأعمال)
من الصفحة ١٨٥ حتى الصفحة ٢٤١

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـالمؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

٨ ـ شرف قلوب المؤمنين أنها زجاجات لمصابيح الإيمان:

ومما أكرم الله تعالى عباده المؤمنين وشرَّفهم به: أنه سبحانه جعل قلوبهم زجاجاتٍ لمصابيح الإيمان، وجَعَلَ صدورهم مَشَاكِيَ لتلك الزجاجات، قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

نقل الحافظ ابن كثير وغيره من أئمة التفسير عن أكثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هو نُور الإيمان الذي أودعه الله تعالى في قلوب عباده المؤمنين.

روى ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال: مَثَل نُورِ مَن آمنَ باللهِ كمشكاة.

ورواه الفِرْيابي عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: مَثَل نوره الذي أعطاه للمؤمن كمشكاة.

وروى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مَرْدُوْيه، والحاكم وصححه، عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال: هو المؤمن الذي جعل الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثلَه فقال: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ فبدأَ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: مَثَلُ نورِ مَن آمَن به.

قال أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه: فصدر المؤمن: المشكاةُ فيها مصباح، والمصباح هو النور، وهو القرآن والإيمان الذي جُعل في صدره، في زجاجة؛ والزجاجة قلبه، كأنها كوكبٌ دريٌّ، فقلبه مما استنار فيه القرآن والإيمان كأَنه كوكبٌ دريٌّ ـ أي: كوكب مضيءٌ ـ.. إلخ[1].

---

(١) انظر (الدر المنثور) وتفسير ابن كثير وابن جرير، وغير ذلك.

فالله عز وجل ضرب لهذا النورِ الإيماني ، ومَحَلِّه ، وحامِلِه ، ومادتِه مثلاً بالمشكاة ـ وهي: الكَوّةُ في الحائط ـ فهي مِثْل الصدر ، وفي تلك المشكاة زجاجة هي من أصفى الزجاج ، حتى إنَّها شُبِّهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه ، وهذه الزجاجة هي مثل القلب.

ووجهُ تشبيهِ قلبِ المؤمن بهذه الزجاجة هو أَنها جَمَعت أوصافاً اتَّصف بها قلبُ المؤمن وهي: الصفاءُ ، والرِّقَّة ، والصَّلابة ، فيرى الهُدَى والحق بصفائه ، وتَحْصُل منه الرأْفة والرحمة والشفقة على خلق الله تعالى برقَّته ، ويُجاهد أعداءَ الله تعالى ويُغْلظ عليهم ، ويشتدُّ في الأَمر الحق بصلابته ، ولا تتعارض هذه الصفات مع بعضها البعض ، بل هي تتساعد وتتعاضد ، كما وصف الله تعالى أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ، وكما وصف كُمّلَ أهل الإيمان بقوله سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وهذا القلب هو الوسط المحمود الذي جمع كمال الطرفين المتناقضين المذمومين:

أحدهما: قلبٌ حجري قاسٍ لا رحمةَ فيه ولا إحسان ، ولا بِرَّ ولا حنان ، وليس له صفاءٌ يَرى به الحقّ والهدى ، بل هو جبَّار جاهِل لا يَعلم الحقَّ ولا يرحم الخلق.

ثانيهما: نقيضه ، وهو قلبٌ ضعيف لا قوةَ فيه ولا استمساك ، بل يقبل كلَّ ما يَرِدُ عليه من خبيث وفاسد ، ليس فيه قوة مانعة من

ذلك ، ولا حجة دامغة لذلك ، فهذان قلبان مذمومان.

أما القلب الأول فهو مثل الزجاجة فيها مصباح ، وهو النور الذي في الفتيلة وهي حاملته ، ومادة هذا النور هي زيت عُصِر من زيتونة قد نبتت في أعدل الأماكن ، تُصِيبها الشمس أولَ النهار وآخره ، فزيتُها أَصفى أَنواع الزيت وأَبعده من الكدر ، حتى إنه من شدة صفائه يكاد يُضيءُ بلا نار ، فهذا مادة المصباح الحسي.

أما مادة المصباح الإيماني الذي هو في قلب المؤمن: فهو من شجرة الوحي المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم ، التي هي أَعظم الأشياء بركةً ، وأبعدُها عن الانحراف ، بل هي أَوسط الأُمور وأعدلها وأَفضلها ، جَمَعت جميع الكمالات والمحاسن ، وبَعُدت عن جميع المفاسد والمساوئ ، فالوحي المحمدي النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو مادة مصباح الإيمان المتلألئ في زجاجات قلوب المؤمنين[1].

فيجتمع نور الوحي إلى نور الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وهي الإيمان الفطري ، ويفصله ويقوِّيه ويثمِّره وينمِّيه ويزيده ، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لا تُبَدِّلُوا فطرة خَلْق الله تعالى . ثم يبيِّن ما هي تلك الفطرة فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ . .﴾ الآية ، فالفطرة هي الدين القيّم ، وهي الإيمان بالله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرة ، فَأَبَوَاه يُهَوِّدانه أَو يُنَصِّرانه أَو يُمَجِّسانه» الحديث ، متفق عليه.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير و(الوابل الصيب).

فالله تعالى فَطَرَ العباد على الدين الحنيف ، كما جاءَ في (صحيح) مسلم ، عن عياض بن حِمَار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الله تعالى أَمرني أن أُعلِّمكم ما جَهِلتم مما علَّمني في يومي هذا ، كلُّ مال نَحَلْتُه عبداً: حلالٌ ، وإني خلقتُ عبادي حُنفاءَ كلَّهُم؛ وإنهم أَتتْهم الشياطينُ فاجْتالتْهم ـ ذَهَبتْ بهم وصَرَفَتْهم ـ عن دينهم ، وحرّمتْ عليهم ما أَحللْتُ لهم ، وأَمَرَتْهم أَنْ يُشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطاناً. . . .» الحديث.

وهذه الفطرة كان بدؤها منذ عالم الذرِّ يوم استخرجَهم الله تعالى من ظهور الآباءِ ، وجمعهم وقال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ . . .﴾ الآيات الكريمة ، وهذا هو الميثاق الأول الذي أَخذه الله تعالى على عباده[1].

فإذا سَلِمَ نور الفطرة من التغيير والتبديل الذي حذَّر الله تعالى منه حيث قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فهذا خبر أُريد به الإنشاءُ ، أي: لا تُبَدِّلوا فطرة الله تعالى التي خلق الناس عليها ، بالتهويد أَو التنصير أَو التمجيس؛ كما تقدم في الحديث ، أَو ما وراءَ ذلك من أَنواع الكفر والشرك.

أقول: إذا سلم نور الفطرة من ذلك ، وجاءَت مادّةُ الوحي المحمدي فباشَرَتِ القلبَ النقِيَّ ، والْتَقَىٰ نور الوحي مع نور

---

(١) وليس هنا موضع تفصيل الكلام على ذلك ، ومن أراد الاطلاع على لأحاديث الواردة في هذا البحث فليرجع إلى تفسير ابن كثير.

الفطرة: امتلأَ القلب بالنور واستنار، ثم إنه يَقوى ويزيد، حتى إنه يَفيض على الوجوه والجوارح والأَبدان والحواسِّ، فإذا كان يوم القيامة بَرَز ذلك النور، وصار يَسعى بين أيديهم وبأَيمانهم، ويضيءُ لهم طريقَهم حين يمرُّون في ظلمة الجسر، حتى يقطعوه بأَمان وسلام وسكينة واطمئنان.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا..﴾ الآيات الكريمة.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وإنما دعا المؤمنون بأَن يُتمّ الله تعالى لهم نورهم لَمَّا رأوا إطفاءَ نور المنافقين في أول الصراط، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغيرهم.

روى الحاكم والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ قال: ليس أَحدٌ من الموحِّدين إلا يُعطَى نوراً يوم القيامة، فأَما المنافق فَيُطْفأُ نوره[1]، والمؤمن يُشفِق ـ أي:

---

(١) فإن المنافق نطق بكلمة الإسلام ظاهراً بلسانه دون اعتقاد، فَأُعطِيَ نوراً بقدر ذلك، ولو أنه قالها صادقاً من قلبه لبقي معه نوره أبداً.

يخاف ـ مما يَرَى من إطفاءِ نور المنافق ، فهو يقول: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾.

وروى الطبراني نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

ولذلك جاءَت البشائر لأَهل البشائر بالنور التام يوم القيامة ، لتطمئنَّ قلوبُهم وتأْمن نفوسهم من تلك المخاوف ، حين يرون إطفاءَ نور المنافقين والمنافقات ، وتخبُّطَهم في الظلمات الموبقات:

فمن أهل البشائر فقراءُ المهاجرين:

روى أَبو داود ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلستُ في عصابة ـ أي: جماعة ـ من فقراءِ المهاجرين ، وإن بعضهم لَيستتر من بعضٍ من العُرْي ، وقارئٌ يقرأُ علينا ، إذ جاءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام علينا ، فلما قام رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي: وقف مشرفاً علينا ـ سكت القارئُ ، فسلَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «ما كنتم تصنعون»؟ قلنا: نستمع إلى كتاب الله تعالى.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذي جَعَلَ مِن أُمتي مَن أُمرت أَن أَصبرَ نفسي معهم».

قال أَبو سعيد: فجلس صلى الله عليه وآله وسلم وَسَطنا ليعدِل نفسه فينا ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم بيده هكذا ـ أي: أشار إليهم أن يلتفُّوا حوله ـ فتحلَّقوا ، وبرزت وجوههم له.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَبْشِروا يا صَعاليك المهاجرين

ـ أي: يا فقراءَ المهاجرين ـ بالنور التّامِّ يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الناس بنصفِ يومٍ؛ وذلك خمسُمائةِ سنة».

ومن أَهل البشائر بالنور التامِّ يوم القيامة المشَّاؤُون في الظُّلَم للمساجد:

عن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بَشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي وقال : غريب[1].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لِيَبْشِرِ المشَّاؤُون في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله لَيُضيءُ للذين يَتَخَلَّلون إلى المساجد في الظُّلم بنور ساطع يوم القيامة» رواه الطبراني بإسناد حسن.

فلولا أَن حال العباد حين يمرون على الصراط مُخِيفة ما جاءت البشائر لأَهل البشائر.

---

(١) قال المنذري: ورجال إسناده ثقات ، ورواه ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه. اهـ.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة في (صحيحه) واللفظ له ، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ، وقال: وقد رُوِيَ هذا الحديث عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد وزيد بن حارثة وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم.

وهناك البشائر العامة للمؤمنين والمؤمنات ، تَرِدُ عليهم يوم القيامة ، ليأمنوا وتطمئن قلوبهم:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ اللهم اجعلنا منهم.

روى الطبراني ، والبيهقي في (الشُّعَب) والحكيم الترمذي ، وابن مَرْدُوْيَه والخطيب ، عن يعلى بن أُمية رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لَهَبي».

فنار جهنم تُنادي المؤمن حين يمرُّ على الصراط الذي نُصِبَ جسراً فوقها ، تقول له: جُزْ ، أي: امضِ بسرعة حتى تجتاز الصراط ، لأن نورك ـ أي: نور إيمانك ـ أطفأَ لهبي ، فيمضي المؤمنون الكُمّل سالمين ، كما جاء في الحديث:

روى الإمام أحمد بإسناده ، عن أَبي سُمَيّة قال: اختلفنا في الورود ـ أي: المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ـ قال بعضنا: لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً ثم يُنجِّي الله الذين اتَّقَوْا ، قال: فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فذكرتُ ذلك له فقال ـ وأهوى بأُصبعيه إلى أُذنيه ـ: صُمّتَا إنْ لم أَكنْ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لاَ يَبْقَى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجِّي الله الذين اتَّقَوْا ، وَيَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا».

قلب المؤمن فيه مصباح الإيمان

لقد عُلم مما تقدم أَن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ هو مَثَل لنور الإيمان في القلب، والدُّرِّيُّ: بضم الدال وشدِّ الياءِ: نسبة إلى الدرِّ، لبياضه وصفائه، ويجوز أن يكون أَصله: دُرِّىء، على وزن فُعِّيل، من: الدَّرْءِ وهو الدَّفْع، لكن خففت الهمزة، وإن العرب تسمي النجوم العظام: الدراري، بغير همز، وقد قرأَه بعض السبعة بالهمز[1]، وإنما وُصِف الكوكب المنير بذلك لأن نوره يَدفع الظلام ويَطرده.

ووجه تشبيه زجاجة القلب الصافية المتلأْلئة بمصباح الإيمان فيها: بالكوكب الدريِّ، لصفاءِ القلب وبياضه وضيائه بنور الإيمان فيه، وبالكوكب الدُّرِّيِّ، لأَنه بنور الإيمان فيه يَدفع ظلماتِ الشك، ويدرأُ الشبهاتِ الضالة، ويطارد الشهوات الضارة المحرمة، وقوةُ الدفع تكون على حسب قوة نور الإيمان الذي فيه.

روى الإمام أحمد في (مسنده) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «القلوب أربعة: قلبٌ أجردُ فيه مِثْلُ السراج يُزْهِر ـ أي: يضيءُ ـ وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوس ـ أي: المقلوب الجاحد للحق ـ، وقلب مُصْفَح» ـ أي: له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه، وأهل الإيمان بوجه ـ.

---

(١) انظر تفسير القرطبي والنسفي وغيرهما.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فأَما القلب الأَجرد: فقلب المؤمن سراجُه فيه نوره.

وأَما القلب الأَغلف: فقلب الكافر.

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق، عَرَف الحقَّ ثم أَنكر.

وأما القلب المُصْفَح: فقلب فيه إيمان ونفاق، ومَثَلُ الإيمان فيه كمثل البَقْلة يمدُّها الماءُ الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القُرْحة يمدُّها الدم والقيح، فأَيُّ المادتَيْنِ غلبتْ على الأُخرى غلبتْ عليه»[1].

وفي حديث حارثة المشهور ـ كما قال الحافظ ابن رجب قال: وقد رُوِي من وجوه مرسلة ورُوِي متصلا، والمرسل أصح[2] ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «يا حارثةُ كيف أصبحتَ»؟. قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «انظُرْ ما تقول، فإن لكل قول حقيقة».

قال: يا رسول الله عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا ـ أي: زهدت فيها ـ فأَسهرتُ ليلي، وأَظمأْتُ نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يَتَزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يَتَعاوَوْنَ فيها ـ وفي رواية: يتضاغَوْنَ فيها ـ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد ولم يخرجوه. ا هـ.

(٢) انظر (جامع العلوم والحكم) للحافظ ابن رجب الحنبلي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: «أبصرتَ فالزمْ، عبدٌ نوَّر الله الإيمانَ في قلبه» فكلما قوي الإيمان في القلب قوي فيه النور، وبذلك يُبصر حقائق الأُمور.

وتقدم في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله يحبُّ الأَبرار الأتقياءَ الأخفياءَ، الذين إذا غابوا لم يُفْتَقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيحُ الهدى، يَخرجون من كلِّ غَبْراءَ مظلمةٍ».

وروى الطبراني، والبيهقي، عن عمر رضي الله عنه قال: نَظَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه مقبلاً، عليه إهابُ كبشٍ قد تَنَطَّق به[1]، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «انظروا إلى هذا الذي نوّر الله قلبه، لقد رأيتُه بين أَبوين يَغْذُوانه بأَطيب الطعام والشراب، ولقد رأيتُ عليه حُلَّة شَرَاها أَو شُرِيت بمئتي درهم، فدعاه حبُّ الله وحبُّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما تَرَوْن» أي: من الزهد والتقلل من الدنيا[2].

قلب المؤمن
مصبوغ بصبغة الله تعالى الإيمانية النورانية

قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

جاءَ عن بعض السلف أنه فسّر الصبغة بالدِّين، وعن بعضهم:

---

(١) أي: جعله حزاماً يشد به وسطه.

(٢) انظر (ترغيب) المنذري: ٣: ١١٢.

هي الفطرة ، نظيرُ قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

ولا تَنَافِيَ بين القولين ، لأن الفطرة هي الدين ، كما فسرها القرآن الكريم.

وعن بعضهم: أن الصبغة هي الإيمان الذي نَوّر الله تعالى به القلوب ، فانْصَبَغَتْ به ، وهذا لا يتنافى مع القولين ، لأن الإيمان هو أَساس الدين وأصل الفطرة.

فقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يقولوا لمخالفيهم من اليهود والنصارى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ . . .﴾ إلى تمام الآية السابقة ، ثم يقولوا لهم: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: صبغنا الله بالإيمان صبغته[1] ولا صِبغةَ أحسنُ من صبغته.

والصِّبْغة ـ بكسر الصاد ـ فِعْلة ، من: صَبَغَ ، كالجِلْسة من: جَلَسَ ، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، والمراد بالصِّبغة هنا: الإيمان الذي صَبَغَ الله تعالى به قلوب المؤمنين ، وإنما سمىٰ ذلك صِبغةً باعتبار أن الصَّبغ يستلزم أَمرين:

أحدهما: التصاق الصِّبغ بالمصبوغ وتمكُّنُه فيه ، على وجه التخلُّل في جميع أجزائه ، والاستغراق لجميع ذراته الظاهرة والباطنة ، كما هو الحال في الثوب المصبوغ كاملاً ، ومن هنا يفترق الصَّبغ عن الطِّلاء والدَّهن ، فإنَّ هذين يأْتيان على ظاهر المطلي والمدهون ، أما الصَّبغ فإنه يتخلَّل في ذرات المصبوغ.

---

(١) انظر تفسير القرطبي والنسفي وغيرهما.

وهكذا الإيمان في قلب المؤمن ، فإنه متخلل في جميع أجزائه ، ومتمكِّن فيه ، وثابت بتثبيت الله تعالى الذي له القوة جميعاً ، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ .

حتى إنَّ الإيمان بلغ من تمكُّنه ورسوخه في قلوب المؤمنين وثبوته ، بلغ درجةً أقوى وأثبت من رسوخ الجبال الرواسي ، كما في الحديث:

روى ابن أبي حاتم ، عن الحسن قال: لما نزلتْ هذه الآية ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ . . . ﴾ الآية ، قال أُناس من الصحابة: لو فَعَل ربُّنا ـ أي: لو أَمرنا ـ لفعلنا .

فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فقال: «الإيمان أثبت في قلوب أَهله من الجبال الرواسي»[1] .

وأخرج ابن جرير بإسناده ، عن أبي إسحاق السَّبِيعيِّ قال: لما نزلتْ: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ . . ﴾ الآية ، قال رجل: لو أَمَرَنا لفعلْنا ، والحمد لله الذي عافانا .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إنَّ مِنْ أُمتي لرجالاً الإيمانُ أَثبتُ في قلوبهم من الجبال الرواسي»[1] .

وأخرج ابن المنذر ، عن زيد بن الحسن قال: لما نزلتْ هذه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير و(الدر المنثور).

الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ...﴾ الآية، قال ناس من الأنصار: والله لو كتبه الله علينا لَقَبِلْنَا، والحمد لله الذي عافانا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الإيمان أَثبتُ في قلوب رجالٍ من الأَنصار من الجبال الرواسي»[1].

فانظر أيها المؤمن في قوة تمكُّن الإيمان في قلوب المؤمنين، والتصاقهِ وصِبْغةِ القلبِ به، ولذلك أعلمَنَا الله تعالى بهذه النعمة الكبرى في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ونَبّهَنَا لذكرها وشكره عليها.

ثانيهما: أن للصِّبغ أثراً في حِلْية المصبوغ وزينته وحسنه وجماله، كما هو الحال في الثوب المصبوغ بالصبغة الجميلة الحسنة، وكذلك القلب إذا صُبغ بالإيمان فإنّ له زينةً وحسناً وجمالاً، ويكسو القلبَ نوراً وبهاءً، وإن الذي صبغه بذلك هو الله تعالى، ومَنْ أحسن مِنَ الله صبغة.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ..﴾ الآية، ولذلك عشقته القلوبُ وذاقتْ حلاوته.

روى الشيخان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثٌ من كُنّ فيه وَجَدَ بهنّ حلاوةَ الإيمان: أَنْ يكونَ الله ورسولُه أَحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وأَنْ يكرهَ أن يَعود إلى الكفر بعد أَنْ أَنقذه الله منه كما يَكرهُ أَنْ يُلقَى في النار».

وفي (صحيح) البخاري، من حديث هِرقلَ وسؤاله

---

(١) انظر (الدر المنثور).

أبا سفيان بن حرب قال له: هل يَرتدُّ أحدٌ منهم ـ من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ سَخْطةً لدينه بعد أَنْ يَدْخل فيه؟

فقال له أبو سفيان: لا.

فقال هِرقلُ: وكذلك الإيمان إذا خالطتْ بشاشتُه القلوبَ لا يَسخَطُه أحد.

قال الحافظ ابن حجر: وزاد ابن السكن في روايته في (معجم الصحابة): يزداد به عَجَباً وفرحاً.

وفي رواية ابن إسحاق: وكذلك حلاوةُ الإيمان لا تَدخلُ قلباً فتخرجُ منه.

الإيمانُ في القَلْبِ هُوَ نُورٌ مِنَ اللهِ تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾ أي: يوسِّعْهُ ويفسحْه للنور النازل من عنده.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في الأحاديث عنه:

جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، والبيهقي[1]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) ورواه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مَرْدُوْيَه والحاكم، كما في (الدر المنثور).

صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلتْ هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قال: «إذا أدخلَ الله النورَ القلبَ انشرحَ وانفسحَ».

قالوا: فهل لذلك من آيةٍ يُعْرَفُ بها؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

وروى عبد الرزاق وابن أبي شيبة، وابن المبارك، والبيهقي في (الأسماء والصفات) عن أبي جعفر المدائني قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ المؤمنين أكيسُ ـ أي: أَعقل ـ؟.

قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنُهم لما بعده استعداداً».

قال: وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟

قال: «نورٌ يُقذَفُ فيه، فينشرحُ له وينفسح له».

قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الإنابة إلى دار الخلود، والتّجَافي عن دار الغُرور، والاستعداد للموت قبل لقاءِ الموت»[1].

وروى ابن مَرْدُوْيَه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال

---

(١) ورواه الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير و(الدر المنثور).

رجل: يا رسول الله أَيُّ المؤْمنين أكيسُ؟.

قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.

قلت: وكيف يَشرحُ صدره للإسلام؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هو نور يُقذَفُ فيه، إن النور إذا وُضِعَ في القلب انشرح له الصدر وانفسح».

قالوا: يا رسول الله هل لذلك مِنْ علامةٍ يُعرف بها؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بئس القومُ قومٌ لا يقومون لله بالقسط، بئس القومُ قومٌ يَقتلُون الذين يأْمرون بالقِسْطِ»[1].

وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: هما لا يتساويان لدىٰ كلِّ ذي عقل، كما لا يتساوى الظلمات والنور.

فالمؤمن استنار بالإيمان بالله تعالى ومحبته ومعرفته، والكافر هو غافل جاهل يتخبّط في الظلمات، فلا يفرِّق بين الحق والباطل، ولا بين ما ينفعه وما يضره، لأنه يمشي على غير نور وهدى، فالفلاح كل الفلاح، والنجاح كل النجاح، والخير كل

---

(١) انظر (الدر المنثور)، وقد ذكر لهذا الحديث روايات متعددة.

الخير ـ حالاً ومآلاً وعاجلاً وآجلاً ـ هو في هذا النور الإيماني.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر في دعائه ربَّه تبارك وتعالى وسؤالِه أن يجعل هذا النورَ في لحمه صلى الله عليه وآله وسلم وعظامه وعَصَبِه، وشعره وبشره، وسمعه وبصره، ومحيطٍ به من كل جهاته، وأن يجعل ذاتَه وجُمْلَته نوراً، فكان يقول: «واجعلني نوراً» وأن يجعل النورَ في ذراته كلِّها: الظاهرة والباطنة، اللحم والعظم والحواس، وفي دعائه تعليمُه لأُمته صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وعملاً.

فمن ذلك دعاؤُه بذلك إذا قام يتهجد:

روى الشيخان وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه بات عند مَيمونةَ أُمِّ المؤمنين ـ وهي: خالتُه ـ قال: فقلت: لأَنظُرنَّ إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فطُرِحَتْ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسادةٌ، قال: فاضطجعتُ في عَرْض الوسادة، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتصف الليل، أو قبلَه بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرَأَ العشرَ الآيات الخواتمَ من سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنٍّ معلَّقةٍ فتوضأَ منها، وأحسن وضوءَه، ثم قام يصلي.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فقمتُ فصنعتُ مثلَ ما صنع، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جنبه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأُذني اليمنى

ففتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءَه المؤذن.

وفي رواية: فتتامّتْ صلاته ثلاثَ عَشْرَة ركعةً ، ثم اضطجع ، فنام حتى نفخ ، فأَتاه بلال فآذَنَه بالصلاة ، فقام يصلي ولم يتوضأْ ـ يعني: لأن عينيه تنامان وقلبه يقظان صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

قال: وكان في دعائه: «اللَّهم اجعلْ في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً».

قال كُرَيْبٌ ـ الراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ: وسبعاً في التابوت [1]، فلقيت رجلاً من ولد العباس فحدّثني بهنّ ، فذكر: عصبي ، ولحمي ، ودمي ، وشعري ، وبشري ، وذكر خصلتين: ـ وهما: مخّي وعظامي ، كما في رواية الترمذي ـ وزاد في رواية: «وأعظمْ لي نوراً».

وفي رواية: رَقَبْتُ كيف يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى أن قال: ثم خرج إلى الصلاة فصلَّى ، فجعل يقول في صلاته ـ أَو في سجوده ـ «اللهم اجعلْ في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، وخلفي نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، واجعلْ لي نوراً» أو قال: «واجعلني نوراً».

---

(١) أي: وسبعاً في قلبي.

وفي رواية: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلتئذ بتسعَ عَشْرَة كلمة ، قال سلمة الراوي عن كُرَيْب: حدثنيها كريب ـ الراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فحفظتُ منها ثنتيْ عَشْرَة ، ونسيت ما بقي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعلْ لي في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، ومِنْ فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، ومن بين يديَّ نوراً ، ومن خلفي نوراً ، واجعل لي في نفسي نوراً ، وأعظِمْ لي نوراً».

وفي رواية لمسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فأَذَّن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً» إلى آخر الدعاء كما تقدم.

قال العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى: ولا خُلْفَ ـ أي: لا اختلاف ـ بين رواية دعائه بذلك في صلاته أو سجوده صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي حال خروجه إلى الصلاة ، فقال ذلك في الصلاة الليلية ، وفي حال خروجه إلى صلاة الصبح. اهـ. يعني: أنه صلى الله عليه وآله وسلم فعل جميع ذلك.

ومن ذلك: دعاؤه بزيادة النور بعد فراغه من صلاته في الليل:

روى الترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليلَةً حين فرغ من صلاته: «اللهم إني أَسأَلك رحمةً من عندك تَهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتَلُمُّ بها شَعَثي ، وتردُّ بها غائبي ، وتَرفعُ بها شاهدي ،

وتزكّي بها عملي ، وتُلهمني بها رشدي ، وتردُّ بها أُلفتي ، وتَعصِمني بها من كل سوءٍ.

اللهم أعطِني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ، ورحمةً أنالُ بها شرفَ كرامتك في الدنيا والآخرة.

اللهم إني أَسأَلك الفوزَ في القضاءِ ، ونُزُلَ الشهداءِ ، وعيشَ السعداءِ ، والنصرَ على الأَعداءِ.

اللهم إني أُنزِلُ بك حاجتي؛ وإنْ قَصُرَ رأْيي وضَعُف عملي ، وافْتَقَرْتُ إلى رحمتك ، فإني أَسأَلك يا قاضيَ الأُمور ، ويا شافيَ الصدور ، كما تُجيرُ بين البحور ، أن تُجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة الثُّبور ، ومن فتنة القبور.

اللهم وما قَصُر عنه رأْيي ، ولم تَبلُغْه مسأَلتي ، ولم تَبلُغْه نِيَّتي من خيرٍ وَعَدْتَه أحداً من خلقك ، أو خيرٍ أنت معطيه أحداً من عبادك ، فإني أرغب إليك فيه ، وأسأَلكه برحمتك يا رب العالمين.

اللهم يا ذا الحَبْلِ الشديد ، والأَمرِ الرشيد ، أَسأَلك الأمنَ يوم الوعيد ، والجنةَ يوم الخلود ، مع المقرَّبين الشهود ، الرُّكَّع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد.

اللهم اجعْلنا هادين مُهتدين ، غير ضالِّين ولا مُضِلِّين ، سِلْماً لأوليائك ، حَرْباً لأَعدائك ، نحبُّ بحبِّك مَن أَحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك.

اللهم هذا الدعاءُ وعليك الإجابة ، اللهم هذا الجُهد وعليك التُّكلان.

اللهمّ اجعلْ لي نوراً في قلبي ، ونوراً في قبري ، ونوزاً من بين يديَّ ، ونوراً من خلفي ، ونوراً عن يميني ، ونوراً عن شمالي ، ونوراً من فوقي ، ونوراً من تحتي ، ونوراً في سمعي ، ونوراً في بصري ، ونوراً في شَعَري ، ونوراً في بَشري ، ونوراً في لحمي ، ونوراً في دمي ، ونوراً في مخِّي ، ونوراً في عظامي ، اللهم أَعظِمْ لي نوراً ، وأعطني نوراً ، واجعلْ لي نوراً . . . » الحديث .

وهذه الأنوار كلها هي أنوار إيمانية ، لأن الإيمان اعتقاد بالجَنان ، وإقرارٌ باللسان ، وعمل بالأركان ـ أي : عمل بالجوارح ـ فالإيمان الاعتقادي القلبي له أَنوار ، والإيمان القولي الصادر عن الإيمان القلبي له أَنوار ، والإيمان العملي له أَنوار .

والدليل على ذلك ما جاءَ في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الطُّهور شَطْرُ الإيمان ، والحمد لله تملأُ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله : تملآن ـ أَو «تَملأُ» ـ ما بين السماءِ والأَرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياءٌ ، والقرآن حجةٌ لك أو عليك» الحديث .

والصلاة هي نور المؤمن ، كما جاءَ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «الصَّلاةُ نُور المؤمن»[1] .

وروى الطبراني ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن

---

(١) رواه ابن عساكر والقضاعي ، كما في (الجامع الصغير) وغيره ، وانظر (جامع العلوم والحكم) .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا حافظ العبدُ على صلاته فأَقام وضوءَها ، وركوعها وسجودها ، والقراءَة فيها ، قالت له: حفظك الله كما حفظتَني ، وصُعِد بها إلى السماءِ ولها نور تنتهي إلى الله عز وجل ، فتشفع لصاحبها»[1].

فهي نور للمصلي في حياته ، وبعد مماته في قبره وحشره ، وعلى الصراط ، وفي الجنة.

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد ، وابن حبان في (صحيحه) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «مَنْ حافَظَ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومَنْ لم يحافظْ عليها لم تكنْ له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأبيٍّ بن خَلَف».

وأما الصدقة: فهي برهان ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: والبرهان هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس[2] ، ومنه حديث أبي موسى رضي الله عنه: «إن روح المؤمن تَخرج من جسده لها برهان كبرهان الشمس».

قال: ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً لوضوح دلالتها على ما دلت عليه ، فكذلك الصدقة برهانٌ على صحة الإيمان وطيب

---

(١) انظر (جامع العلوم والحكم).

(٢) قال الراغب في مفرداته: وقال بعضهم: هو ـ أي: البرهان ـ مصدر بَرَه يَبْرَهُ إذا ابيض ، ورجل أَبْرَه ، وامرأة برهاء ، وقوم بُرْهٌ ، وَبَرَهْرَهَةٌ: شابة بيضاء. اهـ.

النفس بها ، وعلامةُ وجودِ حلاوةِ الإيمان وطعمه. ا هـ.

وأما الصبر: فهو ضياءٌ ، وأَول ما يَدخل تحته الصوم ، قال الحافظ ابن رجب: وفي بعض نسخ (صحيح) مسلم: «والصيام ضياءٌ». ا هـ.

فالأعمال الإيمانية كلها أَنوار تُرى مشاهدةً في عالم البرزخ فما بعده لكلٍّ من يرى.

روى البزار ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله عز وجل: إنما أتقبّل الصلاةَ ممن تَوَاضع بها لعظمتي ، ولم يَسْتَطِلْ على خلقي ، ولم يَبِتْ مُصِرّاً على معصيتي ، وقَطَعَ النهار في ذكري ، ورَحِمَ المسكينَ ، وابنَ السبيل ، والأرملةَ ، ورَحِم المصابَ ؛ ذلك نوره كنور الشمس ، أَكْلَؤُه بعزتي ، وأستحفظه ملائكتي ، وأجعلُ له في الظلمة نوراً ، وفي الجهالة حِلْماً ، ومَثَلهُ في خَلْقِي كمثل الفردوس في الجنة»[1].

جَمِيعُ مَا جَاءَ بِهِ الدِّيْنُ فَهُوَ نُوْرٌ

ومما تقدم يعلم العاقل أنَّ جميع ما جاءَ به دين الإسلام من عقائد وأقوال وأعمال: فهو نور ظاهر في ثبوت حقه وحقيقته ، وهو نور يُشْهَدُ ويُرى على صاحبه الذي طبَّقه وتحقَّق به ، كما تقدم الدليل عليه ، لأن هذا الدين جاءَ من عند الله تعالى.

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحراني ، وبقية رواته ثقات. ا هـ.

كما أن كتاب الله تعالى نور:

قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ . . .﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ هذا القرآن مأْدُبةُ الله؛ فاقْبَلوا مأْدُبَتَه ما استطعتم، إنّ هذا القرآنَ حبلُ الله، والنورُ المبين، والشفاءُ النافع، عصمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن اتَّبعه» الحديث كما رواه الحاكم.

وحجابه سبحانه وتعالى نور:

روى مسلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس كلماتٍ فقال: «إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخفِضُ القِسْط ويرفعُه، يُرفع إليه عملُ الليل قَبْلَ عملِ النهار، وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليل، حجابُه النورُ، لو كشَفه لأَحرقتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه» سبحانه وتعالى أنْ يُشبهَ شيئاً أَو يُشْبِهُهُ شيءٌ، بل هو كما وصف نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وروى ابن أبي حاتم، عن عكرمة أنه قال: لو جَعَل الله تعالى نورَ جميعِ أَبصارِ الإنسِ والجنِّ والدوابِّ والطير في عيني عبدٍ، ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس، لَمَا استطاع أَن يَنظر إليها، ونورُ الشمسِ جزءٌ من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونورُ الكرسي جزءٌ من سبعين جزءاً من نور العرش،

ونورُ العرش جزءٌ من سبعين جزءاً من نور السِّتر ـ أي: الحجاب ـ.

قال عكرمة: فانظر ـ أيها المؤمن ـ ماذا أعطى الله تعالى عبدَه من النور في عينيه وقتَ النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً[1]. ا هـ.

نعم، إنّ في ذلك إكراماً عظيماً من الله تعالى لعباده المؤمنين، فاعرف أيها المؤمن كرامة منزلتك عند الله تعالى، وعظيمَ فضله عليك، وافرحْ بذلك وَقَرّ عيناً، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وعرشه سبحانه يتلألأُ بالنور:

روى ابن أبي الدنيا، عن أبي المُخَارِقِ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مررتُ ليلَةَ أُسري بي برجل مُغَيّبٍ في نور العرش.

قلت: من هذا؟ أهذا مَلَك؟، قيل: لا، قلت: نبيٌّ؟ قيل: لا، قلت: من هو؟

قال: هذا رجلٌ كان في الدنيا لسانُه رَطْبٌ من ذكرِ الله تعالى، وقلبه معلَّقٌ بالمساجد، ولم يسْتَسِبَّ لوالديه».

وروى عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ميسرةَ في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال: أرجلُهم في التُّخوم، ورؤوسُهم عند العرش، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.

وتقدم قول عكرمة: ونور الشمس جزءٌ من سبعين جزءاً من نور

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: ورواه أبو الشيخ مختصراً، كما في (الدر المنثور).

الكرسي ، ونور الكرسي جزءٌ من سبعين جزءاً من نور العرش. . . . إلخ ، ومثل هذا لا مجال للرأي فيه.

كما أن دار كرامته وضيافته لعباده المؤمنين هي تَلألُأٌ بالنور:

فعن كُريب ، أنه سمع أُسامةَ بن زيد رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلا هَلْ مُشَمِّرٌ للجنة ، فإن الجنة لا حظرَ لها ، هي ـ ورب الكعبة ـ نور يتلألأُ ، وريحانةٌ تهتزُّ ، وقصرٌ مَشِيدٌ ، ونهرٌ مطَّردٌ ، وثمرةٌ نضيجة ، وزوجة حسناءُ جميلة ، وحُلَلٌ كثيرة ، ومقام في أَبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحَبْرةٌ ونعمة ، في محلة عالية بهيَّة».

قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمِّرون لها.

قال: «قولوا: إن شاءَ الله».

فقال القوم: إن شاءَ الله[1].

وإن أَهلها الذين يدخلونها ـ جعلنا الله تعالى منهم ـ لهم أَنوارٌ ساطعة ، وإشراقات لامعة:

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب درِّيٍّ في السماء إضاءَةً ، لا يبولون ولا يتغوّطون ، ولا يَمْتَخِطُون ، ولا يَتْفُلون، أمشاطُهم الذهب، ورَشْحُهم ـ أي: عرقهم ـ المسك ،

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، والبزار ، وابن حبان في (صحيحه) والبيهقي.

ومَجَامِرُهم الأَلُوّة[1] ، أَزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خُلُق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماءِ».

وعن أَنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «غَدْوَةٌ في سبيل الله أَو رَوْحة: خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولَقَابُ قوسِ أحدكم أَو موضع قِدِّه في الجنة: خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أنَّ امرأَة من نساءِ أهل الجنة اطَّلعت إلى أَهل الأرض لأضاءَت الدنيا وما فيها ، ولَمَلأَتْ ما بينهما ريحاً ـ أي: رائحة عطرية طيبة ـ ولَنَصيْفُها ـ يعني: خمارها ـ خير من الدنيا وما فيها» رواه الشيخان والترمذي واللفظ له[2].

قال الحافظ المنذري: القِدُّ: بكسر القاف وتشديد الدال هو السَّوْط ، قال: ومعنى الحديث: ولقدرُ قوسِ أحدكم ، أو قدر الموضع الذي يوضع فيه سوطه خير من الدنيا وما فيها. ا هـ.

فالدنيا وما فيها من ذهب وفضة ومعادن ثمينة: لا تعادل ذلك القدرَ ، بل ذلك القدر الصغير الحجم هو خير من الدنيا وما فيها .

فاعرف أيها المؤمن كرامتك عند الله تعالى ، ولا تغرَّنَّك الدنيا وما فيها.

وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو أنَّ ما يُقِلُّ[3] ظُفُرٌ مما في الجنة بَدَا:

---

(١) الألوة: بفتح الهمزة وضمها ، وبضم اللام وتشديد الواو وفتحها؛ من أسماء العود الذي يتبخر به.

(٢) كما في (ترغيب) المنذري.

(٣) أي: ما يحمل.

لتزخرفتْ له ما بين خوافقِ[1] السموات والأرض ، ولو أنّ رجلاً من أَهل الجنة اطّلَع فبدا سِواره لَطَمَس ضوءَ الشمس كما تطمسُ الشمسُ ضوءَ النجوم».

قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا ، والترمذي وقال: حديث حسن غريب.

هذا ، وإن التجلِّيات الإلَهية النورانية تتوارد على أهل الجنة ، فيزدادون نوراً على نور ، وجمالاً وحسناً وكمالاً.

روى ابن ماجه ، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينا أَهلُ الجنة في نعيمهم إذ سَطَع عليهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الربُّ جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال: السلام عليكم يا أَهل الجنة ، وهو قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فلا يلتفتون إلى شيءٍ مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجبَ عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره»[2].

قَلْبُ المؤمنِ
وِعَاءٌ لِمَعْرِفَةِ اللهِ تعالى والإِيْمَانِ بِهِ

روى الطبراني ، عن أبي عِنَبة الخولاني رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال[3]: «إن لله تعالى آنيةً من أَهل

---

(١) قال ابن الأثير: خوافق السماء: الجهات التي تخرج منها الرياح الأربع. اهـ.

(٢) ورواه أبو نعيم والبيهقي برواية أطول من ذلك.

(٣) انظر (الوابل الصيب) للعلامة ابن القيم.

الأَرض ، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عباده الصالحين ؛ وأحبُّها إليه أَلينُها وأرقُّها»[1] .

قال العلامة المناوي: آنية: جمع إناءٍ وهو وعاءُ الشيء. ا هـ.

وقال في الصحاح: الإناءُ: معروف ، وجمعه آنية ، وجمع الآنية: أوانٍ ، مثل: سِقاءٍ وأَسقية وأَساقٍ. ا هـ.

والمعنى: أنَّ قلوب الصالحين هي آنية لأنوار الإيمان بالله تعالى ، وأَنوارِ معرفته ومحبته ، وهو سبحانه هو الذي يفرغ فيها من تلك الأَنوار والأَسرار ما يشاءُ ، كما هو مقتضى حكمته وعلمه ، فإنه سبحانه العليم الحكيم الذي يضع الأشياءَ في مواضعها اللائقة بها ، حسب استعدادها وقابليّتها ، ولذلك جاءَ في الحديث: «إن القلوب أَوعيةٌ ، وبعضها أَوعى من بعض».

روى الإمام أحمد بإسناد حسن ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «القلوبُ أوعيةٌ ، وبعضها أوعى من بعض ، فإذا سأَلتم الله عز وجل ـ يا أيُّها الناس ـ فاسأَلوه وأنتم مُوقنون بالإجابة ، فإن الله تعالى لا يَستجيبُ لعبدٍ دعاءً عن ظهرِ قلبٍ غافل»[2] .

---

(١) قال الحافظ الهيثمي: إسناده حسن ، وقال شيخه العراقي: فيه بقية بن الوليد وهو مدلس ، لكنه صرح بالتحديث فيه ، انتهى من (فيض القدير) للمناوي.

(٢) انظر (ترغيب) المنذري ٢: ٤٩١.

قَلْبُ المؤْمِنِ كِتَابٌ شَرِيْفٌ
لأنَّ الله تَعالى كَتَبَ فِيْهِ الإيْمَانَ

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن هنا يتبيّن لك أَيها المسلم شرف قلوب المؤمنين ؛ فإن فيها كتابَةَ الله تعالى الإيمانَ ، وما أَفضلها من كتَابة ، وما أَعزَّها وأشرفها من كتابة ، إنها ليست كتابةَ كاتبٍ من العباد ، إنها كتابة الله تعالى ربِّ العباد ، وإن موضوعها هو الإيمان بالله تعالى الذي بدأَ الخلقَ ، وإليه المعاد ، فأَكْرِمْ بهذا القلبِ الذي صار لوحاً لكتابة الله تعالى ، تَلُوح عليه أَنوار الإيمان بالله تعالى.

وقد بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أُموراً هامة ينبغي التنبه إليها:

أولاً: إن الإيمان يُوجب على المؤمن مُوادّة مَن آمن بالله واليوم الآخر ، كما يُوجب عليه مُحادّة من حادّ الله ورسوله ، فقد نَفَىٰ سبحانه عن المؤمنين بالله واليوم الآخر وجودَ موادّة منهم لمن حادّ الله ورسوله ، أي: لأَنهما نقيضان لا يجتمعان ، بل الموجود في المؤمنين بالله واليوم الآخِر هو موادَّتهم لمن أَطاع الله ورسوله ، وأَحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والموادة هي: الموالاة والمحبة.

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى: والمُحَادّة: المعاداة والمخالفة في الحدود، وهو مِثْل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ والمعنى: أنهم في حَدٍّ وجانبٍ غيرِ الحدِّ الذي دعا إليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: وقال الزَّجّاج: المحادّة: أن تكون في حدٍّ يُخالف حدّ صاحبك، وأَصلها الممانعة، ومنه الحديد، ومنه: الحَدّاد للبواب. اهـ.

فالإيمان يقتضي ويُوجب الحبّ في الله تعالى، والبغض في الله تعالى، ولا يَكمل إلا بذلك.

روى أبو داود، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله: فقد استكملَ الإيمان».

وروى الإمام أحمد، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أنه سأَل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أَفضل الإيمان قال: «أَنْ تحبّ لله، وتبغض لله، وتُعْمِلَ لسانَك في ذكر الله».

قال: وماذا يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وأَن تحبّ للناس ما تُحبُّ لنفسك، وتَكرهَ لهم ما تكرهُ لنفسك».

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد بهنّ حلاوةَ الإيمان: مَن كان الله ورسولُه أحبّ إليه مما سواهما، ومن أحبّ عبداً لا يحبه إلا لله،

ومن يكره أن يعودَ في الكفر بعد أَنْ أَنقذه الله منه كما يكره أَن يُقذفَ في النار».

وفي رواية: «ثلاثٌ مَن كنّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ في الله ويبغض في الله، وأن تُوقدَ نارٌ عظيمة فيقعَ فيها أحبُّ إليه من أَن يشرك بالله شيئاً».

قال المنذري في (الترغيب): رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

ولا تَعارض بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

فإن الله تعالى لا يَنْهى عبادَه المسلمين عن الإحسان إلى الكَفَرة الذين لم يُقاتلوهم في الدين ولم يُظَاهروا ـ أي: ولم يعاونوا على إخراجهم من ديارهم ـ أن يُحسنوا إليهم، وأَن يَعْدِلوا في معاملاتهم، ويُوصلوا إليهم حقوقَهم كاملةً، بل ذلك أَمر مشروع، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ﴾ أي: إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاءِ الذين ناصبوكم بالعداوة، وأخرجوكم وأعانوا على إخراجكم، يَنهاكم الله عن مُوالاتِهم، ويأْمُركمْ بمعاداتهم، ثم أكدّ الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

روى الإمام أحمد وغيره، عن أَسماءَ بنت أبي بكر الصديق

رضي الله عنه وعنها قالت: قَدِمَتْ أُمي وهي مُشركةٌ في عهد قريش إذْ عاهدوا، فأَتيتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله إنّ أُمي قدمتْ وهي راغبةٌ أَفأَصِلُها؟.

قال: «نعم صِلي أُمَّكِ».

وروى البيهقي، والطبراني، والحاكم وغيرهم، عن عبد الله ابن شَوْذَب قال: جعل والدُ أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر ـ أي: وكان أبو عبيدة رضي الله عنه في صفوف المسلمين وأَبوه مع المشركين ـ فجعل أبو عبيدة يَحِيدُ عنه ـ أي: يَتَوارى من أَبيه ـ فلما أكثر ـ أبوه التصدِّي ليقتلَه ـ قصده أَبو عبيدة فقتله، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ...﴾ الآية.

ثانياً: إنَّ مَنْ تحقَّق فيه وصفُ المحبة في الله تعالى والبغض في الله تعالى، فصار يُوالي أحبابَ الله تعالى، ويُعادي أعداءَ الله تعالى، فإنّ له الضمانةَ من الله تعالى أن يُثَبِّتَه على الإيمان ويمكِّنه في قلبه، وإلى هذا يشير قوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾، والمعنى: أن ما كتبه الله تعالى فلا يُمْحَىٰ، ولا يَستطيع أحدٌ تبديلَه وتحويلَه، وقد قال سبحانه في الآية قبل هذه الآية: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ يُبَيِّن الله سبحانه حقيّةَ كتابته وثبوتَها.

ثالثاً: إنهم الذين ضَمِن الله تعالى لهم نصرتهم وتأْييدَهم بروحٍ منه، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وإنما نالوا هذه المرتبةَ لأَنهم نصروا الله تعالى على نفوسهم ؛ فأَوقفوها عند حدود الله تعالى ، ولم يَدَعوها تُجاوز حدود الله تعالى وتَتَعَدّاها: بأهواءٍ فاسدة ، وشهوات باطلة ، ونصروا الله تعالى على الكفار؛ ولو كانوا آباءَهم أَو أَبناءَهم أو إخوانهم ، أَو عشيرتهم ، ونصروا دين الله تعالى ، ونصروا كتابه وشرعه ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمؤمنين به سبحانه ، فكان جزاؤهم أَن تكفَّل سبحانه بنصرهم ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

واختلفتْ أقوال السلف الصالح[1] في المراد بهذا الروح الذي أيدهم الله تعالى به ونصرهم، وثبّتهم به ، وكُلُّها صحيحة ومتلازمة:

فقال بعضهم: هو روح الإيمان ونوره ، فإن للإيمان روحاً يَحْيا به القلب ويَقْوَى ، وله نور ، فيعطَىٰ صاحبُه الحجة والبرهان ، ويدلُّ على هذا ما جاء في الحديث:

روى أبو داود ، عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ من عباد الله لأُناساً ما هم بأَنبياء ولا شهداءَ ، يَغْبِطُهم[2] الأَنبياءُ والشهداءُ يوم القيامة بمكانتهم من الله».

قالوا: يا رسول الله فَخَبِّرْنا مَن هم!

قال: «هم قومٌ تحَابُّوا بروح الله؛ على غير أرحام بينهم ، ولا أَموالٍ يَتَعاطَوْنها ، فو الله إنَّ وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ،

---

(١) كما نقلها القرطبي وغيره.

(٢) غبطة سرور وفرح بما أكرمهم الله تعالى به.

ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فهذا الروح هو الروح الإيماني الذي يَحيا به القلب ، وهو النور الذي جاءَ في رواية النسائي وابن حبان في (صحيحه) ـ واللفظ له ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مِنْ عبادِ الله عباداً ليسوا بأنبياءٍ يَغْبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ».

قيل: من هم لعلَّنا نُحبُّهم؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم قومٌ تَحَابُّوا بنور الله ـ أي: بنور الإيمان بالله تعالى ـ من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابرَ من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يَحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

وهذا الروح الإيماني والنور الإيماني أشار الله تعالى إليهما في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ أي: بروح الإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا . . .﴾ الآية.

والمعنى: أنه لا يتساوىٰ المؤمن الذي أحيا الله تعالى قلبه بروح الإيمان ، ونوَّره بنور الإيمان ، لا يتساوىٰ مع الكافر ميت القلب ، يتخبّط في الظلمات.

وقال بعضهم: المراد في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾

---

(١) كما في (ترغيب) المنذري.

قال: بالقرآن وحُجَجه ، وذلك لأن القرآن جاءَ بروح من أمر الله تعالى ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

وبهذا الروح القرآني حياةُ الروح الإنساني ، وحياة قلب الإنسان ، والحياة السعيدة الطيبة للأشباح والأَرواح ، والفرد والمجتمع ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وفيه الحجج القاطعة التي لا تُنقض ولا تردُّ ، لأنها حجة الله تعالى ، ولله الحجة البالغة الدامغة لكل باطل ، ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

فقد أَمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يُجاهد الكافرين على اختلاف مِلَلهم ونِحَلهم ومبادئهم الباطلة . يُجاهدُهُم بحجج القرآن الكريم ، ووَصَفَ ذلك بأَنه جهادٌ كبير ، فلولا أنَّ سيفَ القرآن الكريم قاطعٌ في حجته ، ساطع في برهانه ، لما قلَّده الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما أمره أن يجاهدَ به الكفرة على اختلاف كفرهم وضلالتهم.

أَتظنُّ أن الله تعالى يُعطي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً ضعيفاً مَثْلُوماً ، ثم يأْمره أن يجاهد به أعداءَه الكفار؟ الله أَكبر وأَجل وأَعز !!.

ومن هنا تعلم أَيها المسلم علم اليقين أن حجج القرآن قاطعة لكلِّ مبطل ، وداحضةٌ لكل باطل ، لأن القرآن الكريم جاءَ بِهَدْي العباد إلى سبيل الرشاد ، ببيِّنات من الهدى والفرقان ، على مدى العصور والأزمان.

وقال بعض السلف: المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم

﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: جبريلُ عليه السلام ، فإن الله تعالى وصفه بالروح الأمين ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ووصفه بروح القُدُس ، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ. . .﴾ الآية ، فهو المراد في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

ويدلُّ على ذلك ما جاءَ في الحديث ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم من تأْييد الله تعالى لحسانَ بنِ ثابت رضي الله عنه بروح القدس في هجاءِ المشركين ، والردِّ على المنافقين ، منافِحاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روى البخاري ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَضَعُ لحسانَ منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً ، يُفاخرُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أَو يُنافِحُ ـ ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يؤيِّد حسَّانَ بروحِ القُدُسِ ، ما نافح أَو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي رواية أبي داود: فيقوم عليه ـ أي: المنبر ـ يهجو من قال في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رُوحُ القدسِ مَعَ حَسَّانَ؛ ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي (الصحيحين) عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم قُريظةَ لحسان: «اهْجُ المشركينَ فإن جبريلَ معك».

وفي رواية: «اهْجُهُم أَو هاجِهم وجبريلُ معك»[1].

وروى الشيخان، عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: مَرَّ عمرُ بحسان رضي الله عنهما وهو يُنشد الشعر في المسجد، فَلَحَظَ إليه شَزْراً.

فقال حسان لعمر رضي الله عنهما: قد كُنْتُ أُنشِد فيه ـ أي: المسجد ـ وفيه مَنْ هو خير منك، ثم التفتَ إلى أَبي هريرة رضي الله عنه فقال: أَنْشُدُك الله أسمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أَجِبْ عني، اللهم أيِّدْه بروح القُدس»؟.

فقال: اللهم نعم.

ففي هذا دليل على أن الله تعالى قد يؤيد مَن شاءَ من عباده المؤمنين بجبريل عليه السلام في نصرة دين الله تعالى، والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وجميع هذه الأقوال الواردة عن السلف الصالح في بيان المراد من ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ كلُّها متلازمة وليست متنافية، فإنَّ هذا الاختلاف من باب اختلاف التنوع، بمعنى أنَّ الآية الكريمة تَشمَل ذلك كلَّه، وليس ذلك من باب اختلاف التضاد بحيث إذا أخذنا بقولٍ من تلك الأَقوال أدّىٰ ذلك إلى نقض بقية الأقوال، وهذا له نظائرُ وأشباهٌ في أقوال المفسرين من السلف الصالح ليس هنا موضع تفصيلها.

رابعاً: إنَّ الله تعالى وعد أُولئك المؤمنين الصادقين في محبتهم

---

(١) انظر (جامع الأصول).

لله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنان والرضوان ، قال تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾.

فجمع لهم أنواع النعيم: نعيم الأشباح ، ونعيم الأرواح ، النعيم الجسماني بالجنات وما فيها من المآكل والمشارب والملاذ ، والنعيم القلبي الروحاني ، وهو إحلال رضوانه سبحانه عليهم ، وهذا أكبر وأعظم ، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

قال الحافظ ابن كثير: رضاءُ الله تعالى عنهم أكبرُ وأجلُّ وأعظمُ مما هم فيه من النعيم ، ثم نقل عن أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحامِلي ، بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال الله عز وجل: هل تَشْتَهُونَ شيئاً فأَزِيدَكم؟

قالوا: يا ربنا ما خَيْرٌ مما أعطيتَنا؟

قال: رضواني أكبر»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله عز وجل يقول لأَهلِ الجنة: يا أهلَ الجنة.

---

(١) قال ابن كثير: ورواه البزار في (مسنده) من حديث الثوري ، وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه (صفة أهل الجنة): هذا عندي على شرط الصحيح والله أعلم. ا هـ.

فيقولون: لبيك ربّنا وسعديك ، والخيرُ في يديك.

فيقول: هل رضيتم؟.

فيقولون: وما لنا لاَ نَرْضَى يا ربنا وقد أَعطيتَنا ما لم تعطِ أحداً من خَلْقك؟!

فيقول: ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلك؟

فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟.

فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً» رواه الشيخان والترمذي.

خامساً: إن الله تعالى قد نَظَم أُولئك المؤمنين الذين آثروا حبّ الله ورسوله على الآباءِ والأَبناءِ والإخوة والعشيرة ، قد نظمهم في سلك حزبه ، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ ﴾ وأضافهم إليه تشريفاً وتكريماً ، ولا أشرف ولا أكرم من هذه النسبة ، ولا أقوى منها ولا أسعدَ وأنجحَ منها ، ولذلك سجّل سبحانه وتعالى الغَلَبةَ لحزبه ، فقال في سورة المائدة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

وأعلن لهم الفلاح فقال في هذه الآية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ والفلاح: هو الظفر بالمطلوب ، والحصول على المرغوب . فكلمة الفلاح تعبر عن كل خير ، وتشمل كلّ بِرٍّ في الدنيا والآخرة ، وقد علَّق الله تعالى حصول الفلاح على عظائم الأعمال ومهام الأُمور ، قال سبحانه: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ ﴾ أي: برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الآيات مِنْ فواتح سورة البقرة.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ الآيات من أول سورة المؤمنين. وغير ذلك من الآيات الكريمة التي يسجِّل الله تعالى فيها الفلاح لعباده المؤمنين.

وفي ذلك ينبِّه الله تعالى عبادَه لشرفِ هذا الدين الإسلامي ومَجْده وفَخره، وأنه دينُ الفلاح والصلاح والنجاح، جاءَ يدعو العالَم إلى الفلاح، وقد شرع الله تعالى أن يؤذَّن بذلك وتُرفع الأَصواتُ عاليةً معلنةً هذا المبدأَ الإسلامي في كل يوم مرات متعددة، في أَزمنة متعددة، وأمكنة متعددة، قائلةً: حَيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح.

صدُورُ مُؤْمِني هذِهِ الأُمَّةِ مَحافِظُ قُرآنِيَّة

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ . . . ﴾ الآية.

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: وإنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ، وأَبْتَلِيَ بِكَ، وأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتاباً لا يَغْسِلُه المَاء، تَقْرأُهُ نَائِماً ويَقْظَانَ. . .» الحديث كما في (صحيح) مسلم.

فَمِنْ أَعظم المنن الإلَهية التي خصّ الله تعالى بها هذه الأُمةَ

المحمديةَ على رسولنا أَفضل الصلاة والسلام ، ولَم يُعْطِها غيرَها من الأُمم السابقة: أن الله تعالى جَعلَ قلوب هذه الأُمة أَوعيةً لكلامه ، وجعل صدورها مصاحف لحفظ آياته ، لا يغسله من قلوبهم تيارُ الماءِ ، ولا يمحوه من صدورهم كيد الأَعداءِ.

وقد أعلن الله تعالى هذه المنقبة العظيمة لهذه الأُمة الخيِّرة الكريمة ، فيما أَوحاه إلى الأَنبياءِ السابقين ، وأَعلم بذلك الأُمم الماضية تكرمةً لهذه الأُمة على سائر الأُمم ، ورفعةً لشأْنهم ، وإعلاماً بأَفضلية القرآن العظيم ، الذي أَنزله على رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم.

روى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صِفَتي: أَحمدُ المتوكِّل ، ليس بِفظٍّ ولا غليظٍ ، يَجزي بالحسنة الحسنةَ ، ولا يكافىءُ بالسيئة ، مولدُه بمكة ، ومهاجَرُه طيبة ، وأُمتُه الحمادون ، يأْتَزِرون على أَنصافهم ، ويوضِّئون أَطرافَهُم ، أَناجيلُهم في صدورهم ، يُصَفُّون للصلاة كما يُصَفُّون للقتال ، قُربانُهم الذي يتقرّبون به إليَّ دماؤهم ، رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار»[1].

وفي هذا يبيِّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفتَه في الكتب السابقة السماوية ، ومن ذلك: صفةُ أُمته صلى الله عليه وآله وسلم ، «أَناجيلُهم في صدورهم» ، قال العلامة المناوي: الأَناجيل: جمع إنجيل ، وهو الكتاب الذي يُتلى ، وقوله صلى الله

---

(١) ورواه الحافظ البغوي في (شرح السنة) ، ورمز الحافظ السيوطي في (الجامع الصغير) لحسنه.

عليه وآله وسلم: «أناجليهم في صدورهم» يعني: كتبهم ـ أي: مصاحف قرآنهم ـ محفوظة في قلوبهم ، ويقال: الإنجيلُ: كلُّ كتاب مكتوب وافر السطور. ا هـ.

يعني: أنّ كلمة إنجيل هي عند الإطلاق يراد بها الكتاب المنزل على عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ولكنْ قد يراد به كل كتاب وافر السطور.

قال في (النهاية) في تفسيره لهذه الجملة من الحديث: يريد أَنهم يقْرؤون كتابَ الله عن ظهر قلوبهم ، ويجمعونه في صدورهم حفظاً ، وكان أَهل الكتاب إنما يقرؤون كتبهم من الصحف ، ولا يكاد أَحدهم يجمعها حفظاً إلا القليل.

وعن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما فرغتُ مما أَمرني الله به من أَمر السموات والأَرض قلت ـ أي: ليلة المعراج ـ: يا ربِّ إنه لم يكنْ نبيٌّ مثلي إلا وقد كرمتَه ، جعلتَ إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخَّرتَ لداود الجبال ، ولسليمان الريحَ والشياطين ، وأَحييتَ لعيسى الموتى ، فما جعلتَ لي؟

قال: أَوَلَيس قد أعطيتُكَ أفضلَ من ذلك كلِّه؟ إني لا أُذْكَرُ إلا ذُكرتَ معي ، وجعلتُ صدورَ أُمتك أَناجيلَ يقرؤون القرآن ظاهراً ؛ ولم أَعطِها أُمةً ، وأَعطيتُك كنزاً من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

---

(١) رواه أبو نعيم وغيره ، كما في تفسير ابن كثير.

وقد شرّف الله تعالى قلوبَ هذه الأُمة فجعلها أَوعيةً للقرآن الكريم.

عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، أَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأُوا القرآن ، فإن الله تعالى لا يُعَذِّب قلباً وَعَىٰ القرآن»[1].

وُجُوبُ المُحافَظَةِ على سَلاَمَةِ القَلْبِ مِنَ السَّقَمِ

إذا علمتَ أيُّها المؤمن فضل الله تعالى عليك ، وما أَلقى على قلبك من أَنوار الإيمان ، وما أَودع فيه من آيات القرآن ومعانيه ، وما في ذلك من كرامتك وشرفك وعزتك ـ كما تقدم بيانه ـ : فيجب عليك أَن تحرِص على ذلك كلّ الحرص ، وأن تحافظ على سلامة قلبك من أَمراض الكفر والشبهات والشهوات . فإنه لا ينجو يوم القيامة ويَسلَم من المتالف ؛ ولا يأْمنَ من المخاوف إلا مَنْ أتى الله تعالى بقلب سليم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾: القلبُ السليم: أن يَشْهَد أَن لا إلَه إلا الله.

وقال مجاهد والحسن وغيرهما: ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ يعني: من الشرك.

---

(١) عزاه في (الجامع الصغير) إلى تَمَّام في (فوائده) رامزاً لحسنه.

وقال أَبو عثمان النيسابوري: هو القلب السالم من البدعة، المطمئن إلى السنة[1].

ولا تنافِيَ بين هذه الأقوال فإنها متلازمة، فإن الاعتقاد الصحيح بـ: لا إلَه إلا الله يقتضي التوقِّيَ من الشرك كله، والبعد عن البدعة، والتحقُّق بالسنة.

فمثلُ هذا الاختلاف في الأَقوال حولَ الآية الواحدة ليس هو اختلافَ تضاد بل هو اختلاف تنوُّع، فإنّ كل واحد من تلك الأقوال يشير إلى جانب من معاني الآية الكريمة، ولكن الآية تشمل ذلك كله، لأَنها جاءَت بمعنى عامٍّ وهو سلامة القلب، أي: سلامتُه منَ دَنَسِ الشرك والشكِّ والبدعة، وسائر الشبهات، وأَمراض الشهوات المحرمة، فإنّ لها تأْثيراً على القلوب، لأَنها تدفع صاحبها إلى الوقوع في الذنوب.

وقد تقدم في الحديث أَن الذنوب تُجْعل ظلمة وسواداً في القلوب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أَذنب العبدُ ذنباً نُكتَ في قلبه نكتةٌ سوداءُ..» الحديث كما تقدم.

وقد قال الإمام مالك للإمام الشافعي لما جلس بين يديه وقرأ عليه، فأَعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقُّد ذكائه، وكمال فهمه، فقال له مالك: إنِّي أرىٰ الله تعالى قد أَلقى على قلبك نوراً فلا تُطفئه بظلمة المعصية. ا هـ[2].

---

(١) انظر ذلك كله في تفسير ابن كثير.

(٢) انظر (الجواب الكافي) وغيره.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ أي: مرض الشهوات المفرطة.

كما أَن سلامة القلب تقتضي السلامةَ من الأَوصاف الذميمة، كالغِلِّ والحقدِ والحسدِ والبغضاءِ.

روى الترمذي، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بنيَّ إنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصبح وتمسيَ ليس في قلبك غِشٌّ لأَحد فافعل يا بنيَّ، وذلك من سنتي»[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أيُّ الناس أفضلُ؟

قال: «كلُّ مَخْمُومِ القلبِ، صَدُوقِ اللِّسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هو التقيُّ النقيُّ، لا إثم فيه، ولا بغيَ، ولا غِلَّ ولا حسد» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي وغيره[2].

فالخير كل الخير، والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة في سلامة القلب من الشرك، والشك، والنفاق، وسوءِ الأَخلاق.

عن أَبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قد أَفْلَح من أَخلصَ قلبَه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسَه مطمئنة، وخَلِيقَتَه ـ أي: طريقته ـ

---

(١) كما في (الترغيب) و(الفتح الكبير).
(٢) كما في (ترغيب) المنذري.

مستقيمة ، وجعل أُذُنَه مستمعة ، وعينَه ناظرة . فأمَّا الأُذُنُ فَقَمَعٌ ، والعينُ مقرَّة بما يُوعِي القلب ، وقد أَفلح من جعل قلبه واعياً»[1] .

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ تنبيهٌ للاهتمام الشديد بسلامة القلب ، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو في آخر الصلوات ويسأَل الله تعالى قلباً سليماً:

روى النسائي ، عن شداد بن أَوس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أَسأَلك الثباتَ في الأَمر ، والعزيمةَ على الرُّشْد ، وأَسأَلك شكرَ نعمتك ، وحسنَ عبادتك ، وأَسأَلك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسأَلك من خير ما تعلم ، وأَعوذ بك من شرِّ ما تَعْلَم ، وأَستغفرك لما تَعْلَم»[2] .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يُعلم أَصحابه هذا الدعاءَ ، اهتماماً بما اشتمل عليه من المطالب التي يجب على المؤمن أن يكون شديدَ الحرص عليها.

روى الترمذي ، عن رجل من بني حنظلة قال: صَحِبتُ شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه ، فقال لي: أَلا أُعلِّمك ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلِّمنا أن نقول؟

«اللهم إني أَسأَلك الثباتَ في الأَمر ، وأَسأَلك عزيمةَ الرشد ،

---

(١) قال المنذري: رواه أحمد والبيهقي وفي إسناد أحمد احتمال للتحسين. ا هـ.
(٢) انظر (جامع الأصول).

وأسأَلك شكرَ نعمتك ، وأَسأَلك لساناً صادقاً ، وقلباً سليماً ، وأعوذ بك من شرِّ ما تَعْلَم ، وأَسأَلكَ من خيرِ ما تعلم ، وأَستغفرك مما تَعلَم ، إنك أَنت علام الغيوب».

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مامن مسلم يأْخذُ مضجعه فيقرأُ سورةً من كتاب الله تعالى إلا وكَّل الله به ملكاً ، فلا يَقْرَبُه شيءٌ يؤذيه حتى يَهُبَّ متى هَبَّ»[1] أي: متى قام من نومه.

ومن الواجب على المسلم أن يكون سليمَ القلبِ من الحقد والحسدِ ، والضَّغينة والغلِّ ، فإن ذلك يمنع من كمال الإيمان ، ويحجب رفع الأَعمال ويُضِرُّ بها.

روى ابن حبان في (صحيحه) عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يجتمعُ في جوفِ عبدٍ مؤمنٍ غبارٌ في سبيل الله تعالى وفَيحُ جهنم ، ولا يَجتمع في جوفِ عبدٍ الإيمانُ والحسد»[2].

وروى أَبو داود ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إياكم والحسدَ ، فإنّ الحسدَ يأْكلُ الحسناتِ كما تأْكلُ النار الحطبَ» ـ أو قال: « العُشْب» ـ وروى ابن ماجه والبيهقي وغيرهما عن أَنس رضي الله عنه نحوه.

وعن جابر رضي الله عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) انظر (جامع الأصول) والحديث مروي في (مسند) أحمد و(مستدرك) الحاكم وصححه ، ورواه ابن حبان في (صحيحه).

(٢) قال المنذري: ورواه البيهقي من طريق ابن حبان.

وسلم قال: «تُعرضُ الأَعمالُ يومَ الاثنينِ والخميس: فمِن مستغفرٍ فيغفرُ له، ومِن تائب فيتابُ عليه، ويردُّ أهلُ الضغائنِ[1] بضغائنهم حتى يتوبوا» رواه الطبراني في (الأَوسط) ورواته ثقات.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثةٌ لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شِبراً...» وذكر منهم: «وأَخوانِ مُتَصَارمان» ـ الحديث كما تقدم ـ أي: مسلمان متباغضان ومتقاطعان.

وقد نبّهنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أَن الشيطان هو جاهدٌ كلّ جهده في التحريش بين المسلمين المصلِّين، والإغراءِ بينهم والتقاطع.

روى مسلم، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الشيطان قد يئس أَن يعبُدَهُ المصلُّون في جزيرة العرب، ولكنْ في التحريش بينهم».

الأَدْعِيَةُ الواردَةُ في حِفْظِ القَلْبِ مِنَ الزَّيغ والتَّعوُّذُ مِنَ الضَّلالِ بَعْدَ الهُدَى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

روى ابن أبي حاتم بإسناده، عن عبيد الله بن يزيد ـ وكان قد

---

(١) أي: الأحقاد.

أدرك أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: أَنساً وأَبا أُمامة وأَبا الدرداء رضي الله عنهم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال: «مَنْ بَرّتْ يمينُه، وَصَدَقَ لسانُه، واستقام قَلْبُه، ومَنْ عَفّ بَطْنُه وفَرْجُه: فذلك من الراسِخين في العلم».

قال الحافظ ابن كثير بعدما أَورد هذا الحديث: ثم قال الله تعالى مخبراً عنهم أَنهم دَعَوْا ربّهم قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تُمِلْها عن الهدى بعد إذْ أَقمتَها عليه، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغٌ، الذين يتّبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبِّتْنَا على صراطك المستقيم ودينك القويم. ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تثبِّتُ بها قلوبنا، وتجمعُ بها شملَنا، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1]. اهـ.

وهو يُشير بهذه الكلمات حول تفسير الآية الكريمة، يشير إلى ما جاءَ في (سنن) الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو فيقول: «اللهم إني أَسأَلك رحمةً من عندك تَهدي بها قلبي، وتَجمع بها أَمري، وتَلُمُّ بها شَعَثي، وتردُّ بها غائبي، وترفعُ بها شاهدي، وتزكِّي بها عملي، وَتَردُّ بها أُلْفتِي، وتُلْهِمُني بها رُشْدِي، وتعصمنِي بها من كُلِّ سوءٍ.

اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمةً أنال بها شرفَ كرامتك في الدنيا والآخرة...» الحديث كما تقدم.

وروى الترمذي وغيره، عن أَنس رضي الله عنه قال: كان النبي

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر من أَن يقول: «يا مقلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك».

قالوا: يا رسول الله آمنّا بك وبما جئت به ، فهل تخافُ علينا؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم إن القلوبَ بين إِصْبَعَيْنِ من أَصابع الرحمن يقلِّبُها كيف يشاءُ»[1].

روى الإمام أحمد ، عن أُم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر في دعائه أَن يقول: «اللهم مُقلِّبَ القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك».

فقلت: يا رسول الله أَوَ إِنَّ القلوب لتتقلَّبُ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم ما منْ خلق الله من بني آدم من بشرٍ إلا وقلبُه بين إصبَعَين من أصابع الله ، فإِنْ شاءَ الله عز وجل أقامه ، وإن شاءَ أزاغه».

ـ فنسأَل الله ربنا أَن لا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأَله أن يَهَبَ لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ـ .

قلت: يا رسول الله ألا تُعلمني دعوةً أدعو بها لنفسي؟

قال: «بلى ، قولي: اللهم ربَّ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم اغفرْ لي ذنبي ، وأَذهبْ غيظَ قلبي ، وأَجِرْني من مُضِلاَّت الفتنِ ما أَحييتَني»[2].

---

(١) انظر (جامع الأصول) وغيره ، وقد حسنه الترمذي ، كما قال في (الدر المنثور) ، ورواه الإمام أحمد ، والبخاري في (الأدب المفرد).

(٢) وعزا في (الدر المنثور) إلى ابن أبي شيبة ، والترمذي ، والطبراني ، وغيرهم.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يدعو: «يا مقلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك».

قلت: يا رسول الله ما أكثرَ ما تَدْعو بهذا الدعاءِ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس مِنْ قلبٍ إلا وهو بين إِصبَعين من أصابع الرحمن، إِذَا شاءَ أَن يقيمه أَقامه، وإِذا شاءَ أَن يُزيغَهُ أَزاغه، أَما تَسمَعينَ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1]».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو بذلك في جوف الليل حين يستيقظ، وفي هذا إرشاد لأُمته صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاهتمام بهذا الدعاءِ، وإلى المواظبة عليه، والإكثار منه، لأنَّ المؤمن هو أَحوجُ ما يكون إليه.

روى أَبو داود وغيره، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إِلَه إلا أنت، سبحانك اللهم، أَستغفرك لذنبي، وأَسأَلك رحمتك، اللهم زدني علماً، ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهبْ لي من لدنك رحمة إِنك أَنت الوهاب».

وكمَا ينبغي للمؤمن أن يُكثر من الدعاءِ بتثبيت الله تعالى قلبَه على الإيمان والهدى، وأَنْ لا يزيغه ويميله إلى الضلال، ينبغي أَن يدعو الله تعالى بأن يصرفَ قلبه إلى طاعته، ويُقبلَ بقلبه على

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن مردويه، كما في (الدر المنثور).

عبادته سبحانه ، كما أَرشدنا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

روى مسلم ، والنسائي والبيهقي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن قلوبَ بني آدم كلَّها بين إصبعينِ من أَصابع الرحمن كقلب واحد ، يُصَرِّفه كيف يشاءُ».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم يا مُصرِّف القلوب صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتك».

وفي هذه الأَحاديث الشريفة إرشادات وتنبيهات للأُمة إلى الاهتمام بدعاءِ التثبيت على الإيمان ، وحفظ القلب من الزيغ ، وإلى الاعتصام بالله تعالى ، وعدم اعتماد الإنسان على نفسه ، فإنَّه من يعتصِمْ بالله فقد هُدِي إلى صراط مستقيم ، ومَنِ اسْتَحْفَظ الله تعالى إيمانه حفظه الله تعالى عليه ، ومَنِ استودعَ الله تعالى دينَه لم تَخِبْ وديعتُه ، ولم تَضِعْ منه ، بل حَفِظَهَا الله تعالى عليه.

ولما كانت الأَحاديث المتقدمة تحثُّ المؤمن على الدعاءِ بحفظ القلب من الزيغ والضلال ، لذلك فإنَّنَا نرى أَن الصحابة كانوا يُكثرون من الدعاءِ بتثبيت الإيمان ، وحفظ القلب من الزَّيْغِ ، ومن الفساد والضلال بعد الصلاح والهدى.

روى الإمام مالك في (الموطأ) عن أَبي عبد الله الصُّنَابحي قال: قدمتُ المدينةَ في خلافة أَبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فصليتُ وراءَه المغربَ ، فقرأ في الركعتين الأُوليين بأُم القرآن وسورةٍ من قصار المفصّل ، ثم قام في الثالثة فدنوتُ منه حتى إن ثيابي لَتَمَسُّ

ثيابه ، فسمعته قرأَ بأُم القرآن ـ أي : سورة الفاتحة ـ وبهذه الآية : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[1] .

وأخرج ابن سعد في (طبقاته) عن أَبي عطاف ، أَن أَبا هريرة رضي الله عنه كان يقول : أَيْ ربِّ لا أَزْنِيَنَّ ، أَيْ ربِّ لا أَسرقنّ ، أَيْ ربِّ لا أَكفرنَّ .

قيل له : أَوَ تخاف؟ .

قال : آمنتُ بمحرِّفِ القلوب ـ ثلاثاً ـ[2] .

وروى ابن سعد أَنه قيل لنافع : ما كان يَصنع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في منزله؟ .

فقال : لا تُطيقونه : الوضوءُ لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما ـ أي : قراءَة القرآن الكريم في المصحف ـ .

وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا افتتح المصحفَ ليقرأَ بدأَ فقال : اللهم أَنت هديتَني ولو شئتَ لم أَهتدِ ، لا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتَني ، وهبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب .

* * *

هذا وقد تمّ جمعُ هذا الكتاب من فضل الله تعالى عليّ في العشرين مِنْ شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٣ هـ في المدينة المنوَّرة ،

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة والشافعي وغيرهم .

(٢) كما في (الدر المنثور) وقال ابن الأثير في (النهاية) : وحديث أبي هريرة رضي الله عنه : آمنت «بمحرف القلوب» أي : مزيغها ومميلها ، وهو الله تعالى ، وَرُوِيَ (بمحرك القلوب) . ا هـ .

وإني لأَرجو من الله تعالى أن يُتمّ نعمته عليّ ، ويديمَ فضله وتوفيقه ، حتى أُكمل هذه الرسائل الإيمانية المتسلسلة ، وأَسأَل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن ينفعني بها ، وأَن ينفعَ بها عباده.

وصلى الله العظيم على سيدنا محمد النبي الأُمي ، وعلى آله وأَصحابه وأَتباعه ، وعلينا معهم أجمعين ، وسلَّم تسليماً أبد الآبدين.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

* * *